آثار فلسطين

مُني هذا القطر بسقم تاريخي المكتئب لكنهُ متع ما يقوم مقام التاريخ وهو رغبة اناس من علماء أوربا واميركا في التنقيب عن آثاره واستجلاء غوامضها فاستنبطوا لهُ من باطن الارض تاريخاً يفوق كل تاريخ مكتئب دقةً وامهاباً . وهذا شأن فلسطين ايضاً فان تاريخها القديم سقيم لا يعوَّل عليهِ لكن رجال التنقيب يسعون لدى الدولة العلية لتأذن لهم في التنقيب عن آثارها القديمة وكلما انقضت مدة ارادة سعوا للحصول على ارادة اخرى وواصلوا التنقيب والبحث . ولمَّا افضوا اليهِ همتهم البحث في خرائب جازر وهي من المدن التي ورد في التوراة ان ملك مصر اعطاها لابنتهِ لما اقترن بها سليمان الحكيم في جملة مهرها . وقد اجتمعت جمعية التنقيب في فلسطين في السابع عشر من شهر يونيو الماضي في مدينة لندن وخطب فيهم الاستاذ الكسندر مكالستر والدالستر مكالستر مدير التنقيب في فلسطين الآن وشرح المكتشفات التي كشفت منذ الاجتماع العمومي السابق وهاك خلاصة ما قالهُ في تلك الخطبة

ان الانقاض التي وجدت تحت سطح الارض وهي احدث ما وجد هناك يدلُّ ما فيها من الآثار على انها من عهد اليونانيين والمكابيين وتحتها انقاض من عهد اليهود الذين دخلت هذه المدينة في حوزتهم لما اعطاها فرعون لابنتهِ زوجة سليمان . وتحت هذه انقاض تدلُّ آثارها على انها من زمن دخول بني اسرائيل الى ارض فلسطين اي من زمن خروجهم من مصر وتحت ذلك انقاض المدينة القديمة التي ارسلت منها الرسائل السبع التي وجدت في تل الامرنة في القطر المصري مكتوبة بالحرف الاشوري وتحت ذلك انقاض مدينة طال عهدها جداً و بلغ زمانهُ اكثر من الزمن الذي مرَّ بين ايام تحتمس ملك مصر وزمن المكابيين . وهناك تنتهي انقاض البناء ويوصل الى سطح التل الطبيعي الذي بنيت المدن عليهِ وفيها آثار الوام من سكان الكهوف وهم الذين سكنوا سورية قبل غيرهم وقبل زمن التاريخ

فالطبقة العليا من عهد المكابيين والظاهر ان هذه المدينة خربت في عهدهم ولم تبنَ بعد ذلك ولكن يظهر من الآثار التي وجدت في الاودية حولها ان تلك الاودية بقيت مسكونة بعد خراب المدينة في زمن الرومانيين واوائل عهد المسيحيين لان فيها كثيراً من الآثار المسيحيَّة القديمة من ذلك اثار كنيسة وصينيَّة للعشاء الرباني من الخزف وفيها قطعة من الزجاج ملصقة بها يظن انهُ كان تحتها قطعة صغيرة من الخبز وانها مما كان يوضع على قبر

الميت على جاري عادة المسيحيين القدماء التي ابطلت في المجمع النرطاجي الثاني الذي عقد سنة ٣٧٩ . وفيها ايضاً آثار رومانية قديمة من ذلك آثار حمام قديم ارضهُ مرصوفة بالفسيفساء وطولها ٦٨ قدماً وعرضها ٥٨ قدماً

وهناك قبور قديمة يونانية ومكابيَّة وقد وجد في واحد منها يد جرة من الخزف عليها كتابة عبرانية قديمة ومعها ايدي جرار خزفية من عمل رودس وعليها تاريخ من زمن المكابيين . وآثار المكابيين في جازر نفسها كثيرة جدًّا وفي جملتها برج وحمامات والسور الذي بناهُ سمعان المكابي وقصرهُ الذين كان يقيم فيهِ وقد نظف المستر مكلستر غرفة من غرفهِ وسكن فيها

وتحت آثار المكابيين وجدت آثار الفلسطينيين وبينها كثير من الخزف والقوالب التي تفرغ فيها الحلى الذهبيَّة وبينها آثار كريتيَّة تدل على ان التجارة كانت متصلة بين جزيرة كريت وبلاد فلسطين . ويظهر من التوراة ان هذه المدينة كانت في يد الفلسطينيين في زمن داود الملك

والآثار التي وجدت تحت ذلك تدلُّ على عادات الكنعانيين القدماء وشعائرهم الدينيَّة فانهم كانوا يدفنون صحفة طعام مع الميت ويضعون يدهُ فيها ويقربون الفتيان والفتيات لمعبوداتهم وينشرون النقدمة بمنشار الى شطرين ويفعلون ذلك حينما يريدون بناء بيت او حصن ويدفنون النقدمة في الاساس وقد وجد هيكل فتّى وفتاة وهما منشوران نشرًا في سلسلتيهما

اما الانقاض التي من زمن تحتمس ملك مصر ورسائل تل العمرنة فوجد فيها صحيفة من الخزف عليها صورة الزهرة والحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والجوزاء والعقرب والرامي والجدي والدلو والحوت وهي تشبه صورة البروج التي وجدت في آثار بابل . وقد طبعت هذه الصور فيها بطابع اسطواني . ووجد كثير من الطوم البابليَّة الاسطوانية الشكل وهي تدل على الاتصال القديم بين جازر وبابل ولكن الآثار التي تدلُّ على الاتصال بينها وبين مصر اكثر كثيرًا وفي جملتها ختم رعمسيس الثالث وكثير من الجعلان واكثرها من زمن الدول الوسطى ووجدت قبلها آثار مصرية تمتد في تاريخها من زمن الدولة السادسة الى زمن الملك نيفاروت وهو الاخير من الدولة التاسعة والعشرين من الدول المصرية الذي حكم نحو سنة ٣٧٩ قبل المسيح ولذلك كانت جازر متصلة بمصر سياسيًّا وتجاريًّا اكثر زمن وجودها

ووجد بين الانقاض التذكارية امثلة لكل نوع من المباني التي وجدت في بلاد الشام وما حولها ولاسيما المرتفعات التي الاماكن التي يعبد فيها وتقدم الذبائح . ومن احدث ما وجد فيها سرب محفور في الصخر يوصل بهِ الى ينبوع تميز حفرهُ سكان جازر في الزمن القديم حتى يستقوا من ذلك الينبوع اذا حوصرت مدينتهم . والظاهر انهم شرعوا في حفره نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وتركوهُ نحو سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وهو يغور في الصخر الى عمق ٩٤ قدماً وقد حفر على اسلوب حتى ان النور الواصل من فيهِ ينير المكان الاسفل الذي فيهِ الماء . وهو اعظم عمل هندسي اكتشف حتى الآن في فلسطين . ويسمّى الينبوع الذي في اسفلهِ بالنور واهالي تلك البلاد يعتقدون انهُ من ينابيع الغمر التي فاضت وقت الطوفان وستعود الى وصفهِ في فرصة اخرى

اما الآثار الباقية من عهد السكان الاقدمين الذين كانوا يقيمون في الكهوف فغير كثيرة ولكنها غاية في الدلالة فقد وُجد هناك كهوف صغيرة فيها غرف مختلفة وفوق افواه هذه الكهوف ثماني طبقات من الانقاض تراكمت فيها الانقاض في عصور مختلفة والطبقة الثالثة منها من عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية اي ان السكان الذين بقيت من آثارهم كانوا قبل المسيح بالفي سنة فالذين سكنوا تلك الكهوف تقدموهم كثيراً في الزمن ولا يبعد انهم كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ووجدت على جدران الكهوف صور حيوانات كالصور التي وجدت في كهوف جنوبي فرنسا اكثرها صور بقر على غاية السذاجة وبينها صورة حيوان تحيط بهِ شبكة او شيء من مثل ذلك

وحث الخطيب سامعيهِ على مساعدة جمعية النقب بالمال لكي تتم اعمالها في الاشهر القليلة الباقية لها للنقب في ذلك المكان

وقام بعدهُ الاستاذ جورج ادم سمث فاثنى الثناء العاطر على همة المستر مكلستر وخصهُ بالثناء ورجال الحكومة العثمانية الذين سهلوا عليهِ النقب والبحث وساعدوهُ ثم المساعدة ورجلاً اسمهُ سرابيون مراد وهو ناظر على الاراضي التي فيها جازر وقد عاون المستر مكلستر بكل جهدهِ . واستطرد الى شكر الاستاذ مكلستر والد المستر مكلستر وقال ان من سعد المستر مكلستر ان اباهُ رجل قرن العلم بالعمل وساعدهُ بمعارفهِ الواسعة